

الخرائج والجرائح

[983] دون من لم يساوهم - بل يغني ظهور أمرهما عن الروية (1) بينهما، ولهذا (2) لا يحتاج في الفرق بين الخز (3) والصوف إلى أحذق (4) البزازين. وإنما يحتاج إلى التأمل الشديد المتقارب (5) الذي يشكل مثله. ونحن نعلم أنا على مبلغ علمنا بالفصاحة، نفرق بين شعر امرئ القيس وشعر غيره من المحدثين، ولا يحتاج في هذا الفرق إلى الرجوع إلى من هو الغاية في علم الفصاحة، بل يستغنى معه عن الفكرة. وليس بين الفاضل والمفضول من أشعار هؤلاء، وكلام هؤلاء قدر ما بين الممكن والمعجز، والمعتاد والخارج عن العادة، لأن جميع شعراء لو كانوا بفصاحة الطائيين (6) وفي منزلتهما ثم أتى آت بمثل شعر امرئ القيس، لم يكن معجزا وكذلك لو كان البلغاء في الكتابة في طبقة أهل عصرنا، لم يكن كلام عبد الحميد (7) وإبراهيم بن العباس (8) ونحوهما خارقا لعاداتهم ومعجزا لهم. وإذا استقر هذا

_____ 1) الروية: النظر والتفكر في الأمور. وفي البحار " الرؤية " (2) " وهذا كما " البحار. وفي د، ق " ولهذا لا نحتاج " (3) الخز: الحرير. (4) أحذق: أمهر. (5) " التقارب " هـ، د، ق، والبحار. (6) أي أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، والبحثري أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي. قال المبرد: وبالبحثري يختم الشعر. وسئل المبرد عنهما فقال: لابي تمام استخراجات لطيفة، ومعان طريفة، وجيدة أجود من شعر البحتري، ومن شعر من تقدمه من المحدثين، وشعر البحتري أحسن استواء من شعر أبي تمام لأن البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب، وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف. (7) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب البليغ المشهور، وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. تجد ترجمته في وفيات الأعيان: 3 / 228. (8) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي الشاعر المشهور، وله نثر بديع، قال عنه الجراح في كتاب الورقة أنه أشعر نظرائه الكتاب، وأرقهم لسانا. تجد ترجمته في وفيات الأعيان: 1 / 44. [*]